الأدب والفن في أسبوع

مات الزين :

مات أحمد الزين ! فكان موته فجيعة الأدب في الشاعر الكبير ووجيعة القلب في الصديق الكريم ، ومأساة الأسرة في العائل الراحل .

أما الصديق الكريم فقد غشينا من الأسى لفقده ما غشينا . وتلاقينا بعد نعيه وكان الواحد منا يقول لصاحبه : مات الزين ! ويكاد يجهش لولا التجلد والتجمل . ونطرق صامتين برهة ... ثم تتلاقى نظراتنا كليلة منداة . . وفي نفس كل منا ما فيها من المشاعر والخواطر ، وكلها تدور حول ذلك الفقيد الذي ظل حياته ينفح بأدبه وينافح بجلده ، حتى صرعه الموت ، بعد أن عرقته العلة ، واستنفد العلاج القليل المدخر ، ولم يبق إلا الصغير اليتيم الذي لم يكد يضع قدمه الغضة على عتبة المدرسة ...

صفحة للتاريخ الأدبي :

كان الزين من أعلام الشعر في هذا العصر ، وكان يستمد شعره من نبع فياض هو نفسه الشاعرة ، وكان يجل فنه ويقدسه ، فلم يقصد به إلى منفعة ، ولم يتوسل به إلى كسب . كان يقول الشعر يصور به نفسه ويعبر عن مشاعره ، فقال كثيراً في الغزل العاطفي الرقيق ، الذي يدل على عاطفته القوية الصادقة التي تتجلى أيضاً في رثائه لأصدقائه الراحلين . والمستوعب لشعره يجد العاطفة هي السلك الذي ينتظم حياته ، ومن ذلك قصر مدائحه على أصدقائه من كبار الرجال ، وله خواطر ألمعية في نقد المجتمع وأحوال الناس ، كان يصوغها صياغة فنية بارعة . ولمن آخر مطولاته القصيدة التي قالها في ذكرى أحمد تيمور باشا سنة ١٩٤٥ ومطلعها :

ذكرى على صدق الوفاء دليل يحفى بها جيل ويقبل جيل

وفيها يقول :

لا تبك من عاش عمراً واحداً إن التراب على التراب مهيل
هل عاش أو هل مات لا تسأل به فمماته بحياته موصول
ما زاد عن تعب الولاد لأمه والناس وهو إلى الثرى محمول
ومن البلية أن أكثر من ترى في الناس ذاك العائش المتكول
عاملاً موازين الزمان فلن ترى في الناس ميزان الزمان يميل
تقضي العصور على الرجال بحكمها والباقيات الصالحات عدول
تيمور إن نفقد حديثك بيننا فصداه في أفق الزمان يجول

وقال بعد هذه القصيدة قطعاً كثيرة مختلفة لعل آخرها عشرة أبيات مدح بها معالي إبراهيم عبد الهادي باشا ، في أوائل هذا العام ، منها قوله :

ماذا تزيدك في العلا أقوال من بعد ما شهدت لك الأعمال
عمر تضيق سنوه عن أعماله فكأنما أعوامه أجيال
ماض ملىء بالجهاد وحاضر حفل ، وآت كله آمال
ومواهب جمعت لديك لو انها في أمة لم يكفها استقلال
ومواقف أغنى خلود حديثها عن أن يقام لخلدها تمثال

وكان صديقاً لمآليه . ولك أن تعجب من صداقة موظف باليومية لم يبلغ الدرجة السادسة إلا أخيراً لرئيس ديوان جلالة الملك ! ولكن عجبك يتحول إلى الإكبار عند ما تعلم أن فقيدنا كان ، إلى عظم منزلته الأدبية ، كبير النفس ، فلم يكن ليصغرها بطلب شيء لذاته ، وربما رجا لغيره ... ومن هنا ظل شعره بعيداً عن أن يكون سبباً من أسباب الحاجات مع توفر هذه الحاجات !

ولم يكن الزين من المقلدين في الشعر والمزيفين للشعور ، بل كان صادق الفن ، يصدر عن ذات نفسه ويعبر عن خالص وجدانه ، وكان مرهف الحس دقيق الشعور واضح المعاني ، يؤدي كل ذلك في ديباجة مشرقة وألفاظ عذبة ، لا تجد له لفظاً مستكرهاً ولا معنى ملتوياً .

وكان يعنى بالتوقيع الموسيقي في شعره ، يؤلف أجزاءه منسجمة متآخية ، ثم يردده في تنغيم خاص يطرب له ، ويستدعي به ما بقي من القصيدة ...

وكان رحمه الله يريد أن يجمع شعره في ديوان ، ولكن شغلته شواغل العيش ثم متاعب المرض ثم عاجلته المنية... وقد نشر أكثر شعره بالرسالة والأهرام والثقافة ، وقد طبع في

مستهل حياته الأدبية ديواناً سماه « قلائد الحكمة » أكثره أراجيز تدل على بدء معالجته للقريض كما يدل على ذلك تخميسه لقصيدة امرئ القيس «قفانبك» الذى أخرجه أيضاً فى مطبوع صغير . وأطلق عليه لقب « الراوية » لكثرة ما كان يحفظه ويرويه من أشعار العرب . وكان للزين جهد جليل الشأن فى تحقيق الآثار الأدبية وتصحيحها وإخراجها ، وكان يعمل فى ذلك بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وقد أخرج ستة أجزاء من « نهاية الأرب » وأخرج الجزء الأول من أشعار الهزليين وكان يعمل فى الثانى ، ومن مجهوده فى هذا الميدان خارج دار الكتب اشتراكه مع الأستاذ أحمد أمين بك فى إخراج كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ومعه ومع الأستاذ إبراهيم الأبيارى فى إخراج أربعة أجزاء من كتاب « العقد الفريد » . وقد اشترك الثلاثة أيضاً فى إخراج « ديوان حافظ » بتكليف من وزارة المعارف وأخرج الأستاذ الزين « ديوان إسماعيل صبرى » وقدمه بدراسة قيمة .

وقد تخرج الفقيد فى الأزهر إذ حصل على شهادة العالمية سنة ١٩٢٥ وكان وهو طالب يتردد على الجامعة المصرية القديمة لسماع محاضراتها الأدبية . وفى سنة ١٩٢٦ عين مصححاً بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وظل بها حتى نقل فى هذا العام إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف . وقد توفى فى العقد الخامس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

المأساة :

كان الزين موظفاً باليومية فى دار الكتب المصرية ، لا تحسب فى أجره الضئيل أيام الاثنين (العطلة الأسبوعية فى دار الكتب) والأجازات والأعياد ، وظل مرتبه اليومى يزداد قروشاً طيلة مدة خدمته ، حتى وصل إلى ثلاثة وأربعين قرشاً يعطى منها ثمانية قروش لكاتبه الذى كان يلزم له فى عمله بحكم حالته إذ كان مكفوف البصر . وجاء أخيراً (كادر العمال) فقفزت به أحكامه إلى الدرجة السادسة .. وقد عد من العمال لأنه يعمل باليومية مثلهم !

وعاش الشاعر الكبير صابراً على هذه الحال ، متجملا بالتعفف ، منطوياً على عزة نفسه ، يروح ويندو وفى وجهه ماء الكرامة والكبرياء ... وظل مع ذلك يصدح على أيكة الشعر ويخرج الأدب المصفى فى هذا البلد الذى يحترق فيه كرام الأدباء وينال خطوة أولياءه المتافون ومن إليهم من سائر الوصوليين ... ثم داهمه المرض من نحو ستة أشهر ، وتعاوره الأطباء ... هذا يقول : « قرحة المعدة » وذاك يقول له : « داؤك فى الكبد » وثالث يقول بثالث .. وكل يعطى حقناً ويكتب (روشتة) ويأخذ (كشفاً) حتى نفد القليل الذى ادخره من أجرة على تصحيح الكتب التى اشترك فيها خارج عمله الحكومى ، وحتى نفدت أثمان حلى الزوجة .. ثم نفد الرجل .. وخلف ثروة أدبية لا نفع فيها للأيم واليتيم الذى تركه فى نحو العاشرة من عمره . ويقضى قانون الحكومة بمنح الورثة مكافأة تجمع من أجر نصف شهر عن كل سنة من مدة خدمة موظف اليومية !

وبعد فماذا عسى أن يكون مصير ابن أحمد الزين الشاعر الراوية والأديب الكبير ؟

أيتها الدولة . عينك بصيرة وليست يدك قصيرة ...

ذكرى شوقى فى الأوبرا :

لعل القراء يذكرون ما كنا قد أخذناه على اللجنة التى ائتلفت لإحياء ذكرى شوقى من اعتزامها الاحتفاء بالذكرى فى (أوبرج) الأهرام ، وتسعير مشاهدة الحفل ، واشتمال البرنامج على رقص و (منلوجات)

وقد حدث بعد تفنيدنا ذلك أن أعاد أعضاء اللجنة النظر فى الموضوع ، واقتضى ذلك تأخير الاحتفاء بالذكرى عن موعدها

وقد استقر الرأى أخيراً على أن تقام حفلة إحياء ذكرى شوقى فى مسرح الأوبرا بدلا من (الأوبرج) وقد عين لإقامة هذه الحفلة يوم ٢٨ نوفمبر الحالى .

ويشتمل برنامج الحفلة على شعر من خليل مطران بك والأستاذ محمود حسن إسماعيل والأستاذ على محمود طه والدكتور إبراهيم ناجى والأستاذ طاهر أبو فاشا .

وممن سيلقى كلمات نثرية معالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا ومحمد صلاح الدين بك وعزيز أباظه باشا والأستاذ أنور أحمد .

ويتخلل ذلك موسيقى ، وتمثيل من مسرحيات شوقى ، وغناء شعر لأحد الشعراء فى ذكراه .

وقد جرت محادثات أو مفاوضات مع عبد الوهاب وأم كلثوم للاشتراك فى الحفلة بغناء فى شعر شوقى . أما عبد الوهاب فأبى أن يغنى أمام الجمهور ورأى الاكتفاء بتسجيل قطعة تذاع فى الحفلة . فلم تقبل اللجنة هذا الوضع الذى لا يتفق والوفاء الواجب على عبد الوهاب لشوقى الذى طالما غنى شعره أمام الجماهير

وأما أم كلثوم فكانت قد تمنعت ، ولكن لا تزال المفاوضة جارية معها ، والمأمول أن تساهم فى ذكرى شوقى ، ولو مقابل « سلوا قلبى » و « أغنية السودان » و « ريم على القاع » التى أخذتها بالمجان من ديوان المحتفى بإحياء ذكراه ..

بقى أمران لابد من الإشارة إليهما ، الأول أن الحفلة لا تزال مسعرة ، أى أن مشاهدتها ستكون بنقود تدفع ثمناً (لتذكرة الدخول) ولم تجر العادة بذلك فى الحفلات الأدبية .

الأمر الثانى رياسة « شرف » الحفلة ، المسندة إلى هيكل باشا الموجود الآن فى أمريكا . ولو فرضنا أنه فى القاهرة وسيحضر الحفلة فما أظن أنه يترفع عن الرياسة « الفعلية » لحفلة إحياء ذكرى شوقى ، كما أظن أن « رياسة الشرف » شىء قديم لم يعد الآن مستساغاً .

المازنى يتزوج الأدباء :

كتب الأستاذ المازنى فى « أخبار اليوم » مقالا عنوانه « لو أصبحت امرأة » وما كنت لأتعرض لمثل هذا الموضوع لولا أن كاتبه المازنى ، ولولا أنه يصور طوراً من الأطوار التى يمر بها إنتاج هذا الأديب الكبير . ذلك الإنتاج الذى يخف ولكنه لا يبرد ، فهو دائماً تشيع فيه روح الدعابة والظرف ، وقد تشبع هذا الموضوع الأخير من ذلك ، بل زاد فيه حتى جاوز درجة التشبع ..

نفر المازنى من تصور نفسه امرأة ، فأبعد هذا الانقلاب التصورى عن نفسه ، وحوله إلى الأدباء ، متصوراً أنهم نساء وأنه يختار أحدهم أو إحداهن زوجة . استقبح هذا التصور وجعل يصور قبحه ، فقال عن العقاد : « .. ثم من هذا الذى يطيق امرأة فيلسوفة تأبى إلا الغوص والتعمق فى كل شىء ، وإلا أن تتناول كل مسألة بالعقل والمنطق » ثم انتقل إلى غيره فقال : « أوخذ توفيق الحكيم — أو توتو ، أو فيق ، أو حكمت ، إذا جعلناه امرأة » إلى أن قال « ... وتنقدها كل شهر (مصروف) البيت فتقتر عليك ، وتقدم لك الطعام — إذا قدمت شيئاً — فى (رشامة) » ويدع الحكيم فيقول : « وإن طه حسين لكريم يحب لين العيش وخصبه ، ولكن هذه الرفاهة ستكون على حسابى لا على حساب (حسنية) ! ثم إنه يحب السيطرة والتحكم وإن كان يبدو ليناً ، وأنا أكره أن تحاول امرأة أن تتحكم فى ، صراحة أو مداورة ، فإذا كانت حسنية هذه — كفانا الله السوء زوجتى فسينتهى الأمر بأن أخنقها أو تخنقنى . وحسنية تحب باريس والغرب وأنا أكرههما وأحب الشرق ... الخ »

ولم يخل الموضوع من شىء ، فقد أشار — كما ترى — إلى بعض ما فى هؤلاء الأدباء من هذا المزاج الأكثر من اللازم

كل ذلك وعنوان المقال « لو أصبحت امرأة » ويظهر أنه وضعه ليسير فى التخيل على أنه هو المرأة ولكنه رجع عن هذا التخيل ونسى العنوان ، أو أبقاه على طريقة لفت الأنظار بالعناوين الشاذة !

ونرجع إلى حيث بدأ ، فنتصور المازنى فى امرأة ! لا عليك من المنظر .. إنه كريم ظريف حلو الشمائل لين الجانب ، ولكن من يتزوج « زيزى » التى لن تفرغ له ، لأنها تكتب فى ٩٩٪ من الصحف والمجلات المصرية ؟ ! إن الحياة مع « زيزى » هذه لابد أن تكون سلسلة من التاعب والمقالات ..

« العباسى »

اطلب نسختك من كتاب

احمد عرابى

الزعيم المفترى عليه

للأستاذ محمود الخفيف

يطلب من دار الرسالة وثمنه ٥٠ قرشاً عدا البريد